

المغرب المستقل وقضايا الشرق العربي :

الاعتبارات التي لها علاقة بوضع اليهود المغاربة 1955-1958

محمد حاتمي¹

خلال السنوات الأولى للاستقلال، حرصت الحكومات المغربية على اتباع سياسة خارجية متزنة وواقعية قامت أساسا على مبدأ الاستعمال الحسن للمواقف والخيارات من أجل خدمة المصالح الوطنية وتحقيق التوازنات الداخلية. وعمل الثالوث المكون من السلطان والأمير مولاي الحسن وأحمد بلافريج² -مشهود لهم جميعا بالاتزان واللباقة الدبلوماسية- على تفعيل هذا الخيار الاستراتيجي عبر تنويع الاتصالات وربط علاقات شخصية أساسها الاحترام المتبادل، وقوامها الحرص على احتواء جميع الأمور التي لها علاقة بالسيرة الرسمية للدولة بشكل ينأى بها نسبيا عن المزايدات السياسية للأحزاب³. وتجدر الإشارة إلى أن الشخصيات المؤثرة من طينة علال الفاسي وعبد الرحيم بوعبيد والمهدي بنبركة ومحمد بن الحسن الوزاني والمحجوب بن الصديق ساندوا جميعا هذا التوجه واعتبروه مسؤولا.

¹ - أستاذ التاريخ المعاصر بكلية آداب فاس - سايس.

² - فيما يخص أحمد بلافريج، لا بد من الإشارة إلى معرفته بأمر الشرق الأوسط، فهو تابع تطورها من بداية الثلاثينات حين ربط علاقات صداقة مع الأمير شكيب أرسلان. وخلال الحرب العالمية الثانية، دشّن لاتصالات بالنازيين حيث سافر إلى ألمانيا "لجس نبض المسؤولين الألمان عن تصوراتهم المستقبلية إزاء القضية المغربية، فتأكد له بأنهم لا يؤمنون ولا يعملون لأية فكرة تحررية، وأن نظرتهم للمغرب لا تختلف في شيء عن نظرة الفرنسيين المستعمرين". وقد نشر بلافريج العديد من المقالات الصحافية في قضايا الشرق الأوسط.

أبو بكر القادري، الحاج أحمد بلافريج الدبلوماسي المحنك : ملامح من سيرته ونماذج من إنتاجه، (سلسلة رجال عرفتهم)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، 1996.

³ - أوجز الأمير مولاي الحسن المبادئ العامة للسياسة الخارجية المغربية في النقاط التالية :
"أ- التضامن مع الدول الإسلامية.

ب- المغرب بلد غربي [التوجهات] في الميادين الاقتصادية والاستراتيجية والدبلوماسية.

ج- المغرب مناهض للشبوعية لأنه بلد مسلم، وهذا لا يعني أنه عدو لروسيا.

د- المغرب بلد عريق حضاريا، ويؤمن بالسلام والتآخي. وعليه، فهو يناهض كل ما من شأنه تأجيج التوتر بين الأمم.

هـ- المغرب كافح من أجل الحصول على استقلاله. وعليه، فهو سيكون دوما سندا للقوى المناضلة من استقلال بلدانها أينما كانت..."

Documents Diplomatiques Français/1956, M. Lalouette à M. Faure, Rabat, 8 décembre 1956, p. 497-498.

وأدركت حكومات الاستقلال أن حجم الاحتياجات التي يتطلبها الانتقال من وضع الكيان المحمي إلى وضع الدولة الحديثة المستقلة، يتطلب إعطاء الأولوية لعلاقاتها مع فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية قصد الحصول على المساعدات التقنية والمالية¹. ولم يكن الغرض من ربط علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية هو الاستغناء عن المساعدة الفرنسية - غطت النصيب الأكبر من الاحتياجات²، وإنما الرفع من الحصة المكملة (في سنة 1957 وصلت إلى 30 مليون دولار أمريكي)³. وعليه فإن الخارجية المغربية امتنعت عن الإدلاء بمواقف صريحة في مواضيع استأثرت حينها بالسياسة الدولية، بل إنها عملت على اختلاق الأعداء لعدم المشاركة في المجامع الدولية التي رمى منظموها إلى لعب أدوار "ثورية" في العلاقات الدولية (المؤتمر الآسيوي-الإفريقي المنعقد في القاهرة سنة 1957)⁴. فباستثناء التعبير عن الرغبة في الحفاظ على الروابط مع فرنسا⁵ والتأسيس لعلاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية، فإن ما أعلن عنه من مواقف في مواضيع شتى

1- أعرب السلطان عن ذلك في حديث مع مراقب مدني سابق (M. Lagne) يجمعه به علاقات شخصية متميزة : "لقد أضحي من غير الممكن تحقيق استقلال كامل، وسيكون من غير المعقول من جانبنا أن نطالب بوضع دولي لا وجود له من الناحية العملية [...] نحن نعلم بأن العديد من الدول، خاصة في الشرق الأوسط العربي، لا ترغب في أن ننخرط في منطق الاستقلال داخل الترابط (Indépendance au sein de l'interdépendance)، ولن نختلف مع إخواننا العرب في الموضوع لأننا جميعا مسلمون، إلا أننا سنسعى إلى تنبيههم إلى سوء تقديرهم، وهو أمر سيتحقق حين نستقبلهم مستقبلا في بلدنا ونريهم منجزاتنا، وسنبرهن لهم على سداد رأينا في أن العلاقات المتميزة مع بلد عربي من حجم فرنسا، هو أضمن طريقة للحفاظ على حريتنا..."

Ministère des Affaires Etrangères (MAE)/Maroc 1944-1955 (22 Le Sultan : Restauration de Mohammed ben Youssef septembre-novembre 1955), Note pour le Secrétariat : Entretien de M. Lagne avec le Sultan, 9 novembre 1955.

2 - Foreign Relations of United States (FRUS), Vol. XVIII, 1955-1957, Telegram from the Embassy in Morocco to the Department of State : Report on Visit to Morocco, Rabat, May 8, 1957, p. 574-77 ; Memorandum of Conversation : Vice President Richard M. Nixon, Rabat, March 2, 1957, p. 561-63.

3 - American Jewish Department Council (AJDC), Vol. 60, 1959, p. 266.

4- في حوار مع جريدة "الصحراء المغربية" (2 يناير 1958) صرح علال الفاسي بأن المغرب الذي يلتزم بروح مؤتمر باندونغ، لم يشارك في مؤتمر القاهرة (ديسمبر 1957) لأنه انعقد بإيعاز من "منظمات شيوعية". وفي تصريحات أخرى تعلل بكون الدعوة وجهت في وقت متأخر.

5- في حديث مع أحد كبار الدبلوماسيين الفرنسيين المعتمدين بالرباط، أكد السلطان على أن السياسة العامة للدولة المغربية تقوم على دعامتين رئيسيتين "أولهما تكريس الاستقلال والسيادة وكرامة المغرب، وثانيهما التشبث بالصدقة الفرنسية المغربية". وختم السلطان عرضه بما يلي : "إننا لم نعتبر يوما أن هذين الهاجسين متناقضين، بل أنهما على العكس متكاملين".

Documents Diplomatiques Français (DDF), Ministère des Affaires étrangères français, 1957, p. 1-2.

(أزمة السويس والحياد الإيجابي والصراع العربي الإسرائيلي ومذهب إيزنهاور للشرق الأوسط...) اتسم بالتعميم. ودلت هذه السيرة على واقعية وبراغمية الساسة المغاربة في تقييمهم للوضع الدولي، وخيارهم التريث وتفادي المنزلقات الدبلوماسية.

- الانضمام لجامعة الدول العربية

اعتمدت الحكومات المغربية سيرة متزنة وحذرة في تعاملها مع جميع القضايا التي لها صلة بالعلاقات مع دول المشرق العربي والجامعة العربية. فقد شدد المسؤولون في مناسبات عديدة على الخصوصيات المغربية وحجم الرهانات الآنية وما لتباين واقع بين مغارب العالم العربي عن مشاركته من الأثر في تحديد الخيارات والأولويات. فالمغرب في نظر ساسته بحكم موقعه الاستراتيجي ومكوناته الثقافية، مدعو أكثر من أي بلد متوسطي آخر للعب دور الجسر بين العالمين العربي والغربي¹، لأن من شأن ذلك الحد من التوتر بينهما وخلق مناخ جديد يقوم على الثقة المتبادلة والحوار والاعتدال². وهذه الغايات جميعا تقتضي الالتزام بمبدأ التفاوض والعمل على حل النزاعات بالطرق السلمية³. ولتدعيم هذا الخطاب، دأبت الدبلوماسية باستمرار على الإحالة على شخصية السلطان المتزنة منوهة بدوره في سن وتثبيت سيرة الاعتدال، وهي سيرة جعلته يتغلب على جميع المحن التي مر بها.

والظاهر أن الموقف من ضرورة وجدوى الانخراط في الجامعة العربية اتسم بالكثير من التردد. فقد كان من المنتظر أن يلتحق المغرب بالمؤسسة العربية خلال

¹ - "ليس من الممكن أن نتجاهل التطورات التي تقع في الدول العربية [...] فبالرغم من أننا نتبع نهجنا الثوري الخاص ونعمل على ضمان سيادتنا وتثبيت شخصيتنا، فنحن نولي الأحداث في المشرق ما تستحق من الأهمية. إن موقع المغرب الجغرافي وعلاقاته الاقتصادية والثقافية والاستراتيجية مع الغرب من جهة وروابطه اللغوية والدينية مع العالم العربي ودول إسلامية أخرى من جهة أخرى، هي عناصر تجعله أهلا للعب دور الواسطة بين حضارتين تتكاملان..."

A. Balafrej, "Moroccan Foreign Policy", in *Foreign Policy*, Vol. 34, n. 3, April 1956, p.483-489.

في تصريح لمراسل La Croix و Témoignage Chrétien، صرح السلطان بما يلي : " نعتقد أن استقلال المغرب سيقرب بين العالم العربي وفرنسا، وسيبدد أسباب عدم التفاهم بينهما [...] نحن الأكثر تشبعا بالقيم الغربية من بين جميع المشاركة، نحن محظوظون لأننا ننتمي للغرب والشرق في آن واحد، نحن نستحق ما أقره الحديث الشريف "أمة وسط"،

In *Le Monde*, 18 novembre 1955.

² -FRUS, Vol. XVIII, 1955-1957, National Security Report : Statement of Policy on Tunisia, Morocco and Algeria : General Considerations, Washington, November 4, 1959, p.615-25.

³ -Ibid, Memorandum from the Acting Assistant Secretary of State for European Affairs (Elbrick) to the Secretary of State : Status of Air Base Agreement, Washington, May 31, 1956, p. 530-35.

الشهور الأولى لسنة 1956¹، إلا أن الوضع المتفجر في الشرق الأوسط بعد فشل جميع المحاولات الدبلوماسية الرامية لحل النزاع المترتب عن تأميم الشركة العالمية قناة السويس، جعل الحكومة المغربية تقرر إرجاء الأمر إلى وقت لاحق². وحين قام الأمير مولاي الحسن بزيارة رسمية إلى مصر في منتصف تلك السنة -خلالها تحدث إلى الرئيس المصري والأمين العام لجامعة الدول العربية- أكد في تصريحاته العمومية العديدة على أن انضمام المغرب للمواثيق العربية لا يدخل في أولويات الحكومة المغربية، وأن قرارا من هذه الأهمية يستدعي استعدادا خاصا لتكون المملكة في مستوى مسؤولياتها العربية والإسلامية.

وحرصت الحكومات المغربية على أن لا يأخذ موضوع الصراع ضد إسرائيل حجما كبيرا من اهتماماتها السياسية، وأن لا يشكل محفزها الرئيسي في ربط علاقات مع الدول العربية. ودلت العديد من الإشارات أن التوجس من المضاعفات السلبية للانضمام الفوري إلى المؤسسة العربية على العلاقات الهشة بين الجماعات اليهودية المغربية والأغلبية المسلمة، كان من بين الأسباب الحاسمة التي جعلت الحكومة تؤجل ساعة الحسم في الموضوع.

وحصل في شأن هذا الخيار إجماع بين الفاعلين السياسيين -مشاركين في الحكومة وزعماء أحزاب ونقابيين- ذلك أن جلهم أقرروا بأن الصراع العربي الإسرائيلي موضوع يستدعي تضامنا شعبيا وحكوميا مع الدول العربية³، ولكنهم أبدوا عن عدم

¹ Arab League/British Documents Series (A.L/B.D.S), Vol. 8, 1954-1957, p. 465-67.-

² في محاضرة ألقاها بالرباط يوم 29 أبريل 1956 بعنوان "السياسة الخارجية المغربية" (حضرتها العديد من الشخصيات السياسية المغربية من بينهم علال الفاسي)، عرض أحمد بلافريج الخطوط العريضة ومكامن القوة والعراقل وطرق العمل. وفيما يخص الشرق الأوسط، قال الوزير المغربي: "ورغم هذه الأوضاع التي تجعل المغرب في صلات وثيقة مع الغرب، ورغم ما امتاز به المغرب في أطوار تاريخية من سلوك سياسية خاصة تتفق وموقعه الجغرافي وقربه من دول أوروبية توسعية، رغم كل ذلك فإننا لا يمكن أن ننسى علاقاتنا الودية والروحية مع الشرق العربي والإسلامي، ومع الدول التي اجتمعت في باندونغ، ومع الدول القريبة منا في العروبة والإسلام. إننا نتجه إلى هذه البلاد دائما بحكم صلاتنا الجنسية والتاريخية والدينية واللغوية. ولكن الحالة في الشرق الآن لا تبيح على الارتياح، لأن الشرق العربي يكون بركانا مضطربا تصطرع فيها الخصومات وتضطرب فيه الاتجاهات، ومع رغبتنا الصادقة في أن نتجه جهود البلاد العربية والإسلامية جميعها اتجاها واحدا لمصلحة القومية العربية، فإنه ليس من مصلحتنا ولا من مصلحة هذه البلاد، أن نتكثل مع فريق ضد الفريق الآخر، أو أن نجعل من المساهمة في إحدى الكتل العربية وسيلة لزيادة التفرقة بين البلاد العربية، وإن سياستنا لتتجه إلى تقوية أواصر الصداقة والأخوة مع البلاد العربية والإسلامية...". ذكره أبو بكر القادري، الحاج أحمد بلافريج...، مرجع سابق، ص. 127.

³ "[...] فالمغرب جزء من الأمة العربية ومن الذين أيدوا الجامعة العربية وهو في حضن الاستعمار ولا يمكن أن ننتمي إلا لها بعد الاستقلال، وإذا كانت رغبته في عدم تشجيع النزاع القائم بين بعض الدول العربية ونصرة بعضها على بعض جعلته يترتب في الانضمام للجامعة بصفة

الرغبة في أن يصبح المغرب طرفا مباشرا فيه. ودفعت الواقعية في تقييم الوضع بجل المسؤولين المغاربة إلى الاقتناع بأن دولة إسرائيل حقيقة لا بد من اعتبارها، ومن ثمة خلصوا إلى أن للمغرب دورا إيجابيا يكمن في الدفع بالأطراف للتفاوض والوصول لحلول توافقية تشكل الأساس لسلام عادل ودائم. ففضلا عن الأسباب الذاتية والموضوعية التي تبرر هذا المنحى (البعد الجغرافي عن خطوط المواجهة وصعوبة المشاركة العسكرية ووجود أقلية يهودية مهمة¹ وضرورة التعجيل بالقيام بالأعمال الكبرى التي تفرضها المرحلة...)، اعتبر العديد منهم أن وضع الصراع العربي الإسرائيلي في قلب انشغالات النظام -كما هو الحال في دول الشرق العربي- لن يفيد القضايا الوطنية في شيء، بل إن مضاعفاته عموما سلبية. فلاهتمام بالموضوع بشكل مبالغ فيه يؤدي إلى توجيه الأنظار صوب مشاكل خارجية، وشغل "الفئات الشعبية" عن مشاكل التنمية الحقيقية. ثم إن الفاعلين السياسيين كانوا يخشون أن تشكل مأساة اللاجئين الفلسطينيين مطية للاختراق الإيديولوجي الناصري للمغرب، وهو اختراق ناهضوه لاعتقادهم أنه يخفي وراءه اختراقا آخر أكثر "خطورة" هو التعامل مع الاتحاد السوفيتي باسم الحياد الإيجابي. والظاهر أن جل الساسة المغاربة اعتبروا من مصلحة الجميع إيجاد حل للصراع وفقا للقرارات الأممية، وتدشين مرحلة جديدة في العلاقات بين العرب واليهود في أرض فلسطين².

وتطابق الموقف المغربي من الجامعة العربية والذي أوقفته تونس في نفس الموضوع؛ فهما اعتبرا أن الانتماء الثقافي والحضاري للعالم العربي لا يعني بالضرورة التنكر للآرث التاريخي الذي يجعلهما أكثر ارتباطا بأوروبا الغربية والعالم الحر³. واعتقد

رسمية، فإنه لن يتأخر قط في تأييد المنظمة العربية في خططها والتضامن معها في جميع المحافل الدولية، والشعب المغربي مؤمن بأن العرب أمة واحدة ولو فرق بينها الاستعمار"، غلال الفاسي، العلم، 3 يوليوز 1957.

1- خير مثال للبيرالية المسؤولين المغاربة في موضوع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل، ما صرح به الوزير محمد الفاسي في إمكانية إقامة علاقات ثقافية بين المغرب والدولة العبرية.
2- "طرح كل من السيد نيكسون والسيدة إيزنهاور أمام السلطان مشكلة السلام بين العالم العربي وإسرائيل. وبالرغم من أن جلالاته لم يفصح عن موقف واضح، فإنه أعرب عن ضرورة قيام المغرب بدور الوساطة بين الطرفين. وأكد السلطان على أنه سيعمل على إقناع الزعماء العرب حين عند لقائه بهم بجدوى التعامل مع إسرائيل كحقيقة والعمل على إيجاد حل معها وتحقيق سلام دائم".

FRUS, Vol. XVIII, 1955-1957, National Security Report : Statement of Policy on Tunisia, Morocco and Algeria : General Considerations, Washington, November 4, 1959, p.615-25

3- في تقرير بعث به مبعوث الرئيس الأمريكي للشرق الأوسط لشرح السياسة الأمريكية بعد أزمة السويس (مبدأ إيزنهاور)، كتب بأن السلطان يعطي الانطباع بأن بلده لا تنتمي للعالم العربي،

النظامان كذلك بأن الهيمنة التي تمارسها مصر الناصرية على الشؤون العربية باسم الإيديولوجية القومية، والتي أخذت أحيانا شكل تدخل في الشؤون الداخلية للدول، مسألة خطيرة لأنها من جهة توجب التوتر في المنطقة وتقلص من مناسبات ومجالات التعاون والتنسيق¹، ومن جهة أخرى ترفع من حدة الانقسامات داخل الدول العربية نفسها وتؤدي إلى دعم التيارات المتطرفة². ثم إن الدولتين اعتبرا الموقف العربي من إسرائيل طبيعي ومشروع، ولكنه "عقيم وغبي" لأنه لا يأخذ بعين الاعتبار الحقائق السياسية والميدانية. وكل هذه العناصر جعلت المسؤولين المغاربة والتونسيين يدركون

Ibid, Telegram from the Embassy in Morocco to the Department of State : Report on Visit to Morocco, Rabat, May 8, 1957, p. 574-77 ; Memorandum of Conversation : Vice President Richard M. Nixon, Rabat, March 2, 1957, p. 561-63.

1- "انتقد الأمير مولاي الحسن بشدة الرئيس عبد الناصر وطرقه في العمل السياسي [...] وقد بدالي الأمير مصمما على استعمال ما له من سلطة لكي يبقى المغرب بعيدا عن المناورات التي يحبها الرئيس المصري للهيمنة على العالم العربي [...] إنه يعتقد بأن الاتحاد السوفيتي يشجع مصر في نهجها"،

DDF/1956, M. André-Louis Dubois à M. Savary, Rabat, 25 juillet 1956, p. 155.

"إن المغاربة يقبلون بفكرة القومية العربية التحررية، ولكنهم يعارضون أن تمارس مصر على بلادهم هيمنة لأنهم يعتبرون أنفسهم أرقى من المصريين في مجالات شتى [...] إنهم يعرفون جيدا ما يريدون، وقد أعربوا صراحة عن احتياجاتهم في لقاءاتهم المتعددة مع دبلوماسيين أمريكيين. إنهم يريدون حجما كبيرا من المعونات ليتمكنوا من وضع أسس مؤسسات خاصة وركائز اقتصاد قوي..."

Central Zionist Archives (CZA), Z6/4620, Ira Hirschman : Memorandum of Mission in North Africa, Casablanca, 14 March, 1956.

"وفيما يتعلق بانضمامنا إلى جامعة الدول العربية فأنتم تعلمون بأننا مستعدون بالوفاء بالتزاماتنا. فمن حيث المبدأ، نحن أوقفنا قرارنا بالانضمام، إلا أن الوقت لم يحن بعد لتنفيذ قرارنا لأن الظروف التي تمر بها الجامعة في الوقت الراهن تجعل من انضمامنا أمرا دون جدوى. فالمشاكل التي تتخبط فيها دول الجامعة تجعل حظوظ التعاون السياسي داخل المنظمة شبه معدومة [...] وما يجب التشديد عليه هو أن عدم انضمامنا رسميا لا يعني أننا لا نغير أهمية لعلاقتنا مع دول الجامعة [...] فالتعاون الثقافي والاقتصادي موجود بيننا وبين هذه الدول..."

MAE/Maroc 1953-1959, 7 (Situation politique), Discours prononcé par M. Ahmed Balafrej, ministre des Affaires étrangères à l'Assemblée nationale consultative, 9 novembre 1957.

2- "في حديثه عن الوضع بالشرق الأوسط، أعرب السيد بلافريج عن تخوفات الخارجية المغربية من المبادرات المصرية من قبيل التقارب مع سوريا والدعاية ضد تونس"

MAE/Résumés politiques hebdomadaires relatifs au Maroc et à la Tunisie/semaine du 29 décembre au 6 janvier 1958.

بأنه ستكون للالتحاق بالجامعة مضاعفات سلبية على الوضع الداخلي خاصة ما يخص العلاقات بين اليهود والمسلمين¹.

وبديهي أن العنصر الأخير لم يكن حاسما في الدفع بالمغرب إلى تأجيل لحظة التحاقه بالمؤسسة العربية، إلا أنه احتل موقعا مهما في حسابات المسؤولين المغاربة لحرصهم على تفادي القيام بخطوات من شأنها تعقيد وضع اجتماعي صعب التدبير. ودفع بهم هذا الهاجس خلال لقاءاتهم مع المسؤولين الأجانب إلى تفادي الخوض في ما اعتبروه "تعقيدات" الصراع العربي الإسرائيلي²، وهو ما يفسر خلو التصريحات المشتركة من إشارات واضحة للموقف من المشكل الفلسطيني³. فخطاب السلطان والدبلوماسيين في الموضوع في مجمله تبريري، سعى إلى إقامة الدليل على أن اهتمام

1- "من بين جميع الدول العربية، ينفرد المغرب -على الأقل إلى حد الآن- بموقف متزن وبعيد عن العاطفية تجاه إسرائيل. ويمكن لهذه الوضعية أن تتغير بعد انضمامه إلى جامعة الدول العربية، فمن المحتمل أن يعتمد المغرب نفس مواقف "إخوانه العرب"، ويتشدد في تطبيق التدابير القاضية بمنع هجرة اليهود المغاربة صوب إسرائيل، والعمل بقوانين المقاطعة سارية المفعول في المشرق"،

MAE/Maroc 1953-1959 (Relations extérieures du Maroc), L'ambassadeur de France au Maroc au Ministre des Affaires étrangères : Attaques contre Israël, 24 octobre 1958.

2- خلال زيارة رسمية قام بها للمغرب في ربيع 1957، التقى نائب الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون بالسلطان وجرت بينهما مباحثات مفصلة في العديد من المواضيع، حضرها من الجانب المغربي الأمير مولاي الحسن ومبارك البكاي وأحمد بلافريج. وفي عرضه للمشاكل الرئيسية التي تعترض المغرب، شدد السلطان على القضايا الاقتصادية والسياسية، وأعرب عن أمله في تقوية أواصر الصداقة والتعاون مع الولايات المتحدة، وحل جميع القضايا الثنائية -القواعد العسكرية والترخيص في استعمال التراب والأجواء المغربية [...]-. وفيما يخص السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، أبدى جلالتة عن عدم الرغبة في مناقشة حيثياتها، واكتفى بالتعبير عن تفهمه للهواجس التي تحركها ونعتها بالواقعية، كما عبر عن أمله في أن تبلغ غاياتها. وصرح السلطان بأنه يساند مبدأ إيزنهاور، إلا أنه لا يمكنه في الوقت الراهن الانخراط فيه لأن "الوضع الجغرافي للمغرب وتاريخه يجعله غير متورط في المشاكل المحلية في الشرق الأوسط بنفس قدر دول المنطقة". وأكد صاحب الجلالة على أن الشيوعية لا تمثل في المغرب "مشكلا كبيرا"، وأن الحكمة تقتضي الاهتمام بالقضايا الإفريقية لأن العديد من دول القارة السمراء ستحصل على استقلالها في العقد المقبل. وخلص في نهاية عرضه إلى أن المغرب مدعو إلى لعب أدوار إيجابية "والتأثير في سبيل تحقيق تطور متزن". وتبرز ديباجة تقرير المحادثات أن الجانب الأمريكي فهم قصد السلطان، فلم يعط لقضايا الشرق الأوسط أولوية وأهمية خاصة، فنيكسون لم يثر الموضوع بتاتا.

FRUS-1955-1957, Memorandum of a Conversation, Rabat, March 2, 1957 : Visit of the Vice President R. Nixon, Vol. XVIII, Africa, p. 561-164.

3- أعطى الرئيس الأمريكي إيزنهاور توضيحا في الموضوع خلال زيارته للمغرب في خريف 1959 حيث أكد أن "التصريحات المشتركة لا يجب أن تتطرق لمواضيع ليس للمغرب والولايات المتحدة تأثير فيها [...] فالجهود يجب أن تتركز داخل الأمم المتحدة"،

Memorandum of a Conference with the President, Palais Royal-Casablanca, December 22, 1959, op. Cit, p. 796-800.

المغاربة "بقضية فلسطين" لا تحركه "بالضرورة اعتبارات دينية وعرقية" وإنما "أساسا اعتبارات إنسانية". ففي تحليلهم للوضع العام في الشرق الأوسط، ركزوا على مشكل اللاجئين واعتبروه "مأساة" ووضعوا "غير عادل" وشددوا على ضرورة البحث عن حل سياسي بعيدا عن التشنج والتهديد العسكري.

وراقبت الهيئات اليهودية العالمية عن كثب مسارات السياسة الخارجية المغربية، وقدرت التوجه الغربي للدبلوماسية المغربية واعتبرته خيارا إيجابيا¹. ولم يمنعها إدراكها لواقعية الخيارات الراهنة من توخي الحذر حين حصول لقاءات بين مسؤولين مغاربة وآخرين مشاركة توجسا لحصول مضاعفات سلبية على وضع اليهود في المغرب. ففي تقييمها للسيرة العربية للمملكة، خلصت أطر المؤتمر إلى أنه لن يكون بوسع المغرب المصادقة على جزء من ميثاق الجامعة والتنكر للجزء الآخر والالتزام بقرار دون آخر، لأن الانخراط في مؤسسة من حجم الجامعة العربية يعني القبول بقراراتها جميعا خاصة وأنه تتم المصادقة على أهمها باسم الصالح العام وتحقيق الوحدة العربية وتضامن الشعوب والوقوف ضد الأخطار المحدقة (على رأسها الخطر الصهيوني).

في الحقيقة وقع تغير مهم من موقف المغرب من الجامعة العربية غداة الأحداث الخطيرة التي عرفها الشرق الأوسط في صيف 1958 (الإطاحة بالنظام الملكي في العراق ووثد حلف بغداد الذي شكل منذ 1955 المصدر الرئيسي للصراع داخل الجامعة بين كتلة الفرات وكتلة النيل)². وعرض موضوع الالتحاق بالجامعة أمام مجلس الحكومة الذي ترأسه الملك في الأيام الأولى لشهر شتنبر، وشرح وزير الخارجية أن مرحلة أولى من تأسيس قواعد السياسة الخارجية المغربية استنفدت

¹ - "إن الملك زعيم سياسي معتدل ورصين... فهو أكد بصريح العبارة على صداقته لعالم العربي، إلا أنه لحد الساعة لم يسمح بالتحاق المغرب بجامعة الدول العربية بالرغم من الضغوط المتعددة. ولا يسعنا سوى التساؤل عن إمكانية الدولة المغربية في الصمود أمام هذه الضغوط، أم أنها ستقبل بالدخول في المؤسسة العربية اعتقادا منها بأن الأمر لن يمنعها من الاحتفاظ بحريتها داخلها. إن الضغوط متعددة المصادر، وواحدة منها جديرة بالذكر تكمن في تأثير دول المشرق العربي على عموم الشعب المغربي عبر السينما المصرية وبرامج إذاعة القاهرة والصحف والمكلفين بالمكاتب الثقافية المصرية. وقد نالت وسائل الدعاية هذه من نفسية فئات عريضة من الشعب المغربي، وتدفع بهم إلى مطالبة الحكومة باتخاذ توجه يتوافق والسياسة المعتمدة من طرف النظام المصري..."

CZA, S6/7266, World Jewish Congress (Political Department), Rapport d'André Jabès sur la situation au Maroc, 13 décembre 1957.

² - في تصريح لجريدة "الاستقلال" (13 شتنبر 1958) أكد علال الفاسي على أن المغرب لم يلتحق بالجامعة العربية لتفادي الرفع من حدة الصراع داخلها. أما بعد أن خف الصراع بين مصر والعراق وتحقق "النهاية السعيدة" للآزمة اللبنانية واتخاذ المجموعة العربية داخل الأمم المتحدة لقرار إيجابي في شأن إنهاء الآزمة بالشرق الأوسط، فإن المغرب مستعد للالتحاق بالمؤسسة العربية.

أغراضها، وأن المتغيرات الدولية تفرض الانتقال إلى طور جديد وفق منطق تحقيق أغراض وطنية دون التفريط في الثوابت. وصادق المجلس على مجموعة من الاقتراحات في الموضوع، من بينها الرفع من مستوى التمثيلية السوفيتية بالمغرب إلى درجة سفارة وتهيئة الأجواء للاعتراف بجمهورية الصين الشعبية والالتحاق بالجامعة العربية¹. واتخذ القرار في جملة تدابير رمت إلى الإقرار بسيادة الدولة في خياراتها السياسية، وكذلك إلى اعتماد التعاون العربي كمصدر إضافي لتحقيق نمو اقتصادي واكتفاء ذاتي في بعض الميادين.

وتم إخبار سكرتارية الجامعة بالقاهرة بالقرار بعد مشاورات مع تونس، التي عبرت بدورها عن الرغبة في الالتحاق قصد "المساهمة في تلطيف الأجواء وحل النزاعات بين الأشقاء"². وما من شك أنه حدا بالبلدين فضلا عن الرغبة في تعزيز مكانتهما الدولية والجهوية³، اعتقادهما بأنه ستترتب عن عضويتها الكاملة توازنات جديدة من شأنها تطويق مطامح الرئيس عبد الناصر في العالم العربي⁴، والحد من التدخل المصري في الشؤون الداخلية للدول العربية، والدفع بالجميع إلى اعتماد موقف أقل تشددا فيما يخص القضية الفلسطينية، وحثهم على توجيه الجهودات نحو البحث عن سبل للتفاوض مع إسرائيل⁵. وقد طرح المغرب عدة نقاط للنقاش بهدف تعزيز

¹ - العلم، 2 أكتوبر 1958

² (A.L/B.D.S), Vol 9, 1958-60, From Rabat to Foreign Office, September 2, 1958, p. 175.

³ - العلم، 2 أكتوبر 1958.

⁴ - "قال لي بنهيمية بأن المصريين [...] فوجئوا بالصراحة التي اعتمدها الوفد المغربي في نقده للسياسة العربية التي يتبعونها [...] وأكد لي على أن المغرب يحتل داخل الجامعة العربية مكانة قوية تعطيه تميزا عن بقية الدول الأعضاء. فهو لا يعتبر نفسه طرفا في النزاعات العربية العربية السابقة، وهو كذلك لا يتبنى سياسة أي من الأطراف المتنازعة. إن للمغرب أسانيد وطنية قوية مكنته من انتزاع استقلاله من فرنسا، وحينما قطعت مصر علاقاتها مع فرنسا، أعرب المغرب عن تضامنه مع مصر ولكنه ظل حريصا على البقاء خارج النزاع. إن لمغرب حسب بنهيمية مصمم على اتباع نهجه الخاص والدفاع عن مصالحه، وبالتالي فهو يمتنع عن الدخول في نزاعات لا تهمه"،

A.L/B.D.S (Vol 9, 1958-60), G.B. Duke (British Embassy in Rabat) to Foreign Office, April 23, 1959, p. 287.

⁵ - "[...] كانت لي محادثات مع السفير المغربي في بغداد منذ بضعة أيام، وأشار في حديثه إلى حصول تطورات جديدة تمكن من تفعيل الدور الإيجابي للجامعة [...] وقال لي بأنه يعتقد بأن العمل من داخل الجامعة كفيل بوضع حدود معقولة لمبادرات الكولونيل عبد الناصر (هكذا) لأنه سيجد نفسه محاطا بأغلبية [...] ويعتقد السيد السفير بأنه على الدول الغربية تدعيم المساعي في هذا الاتجاه لأنه من شأنها إحلال الاستقرار داخل الدول العربية وتدعيم التأثير الغربي في المنطقة. وأكد لي كذلك على طموحه إلى أن يؤدي هذا النهج في وقت لاحق إلى تفعيل الآليات المؤدية إلى التوصل إلى حل للمشكل الإسرائيلي"،

التعاون الاقتصادي الجهوي والإقليمي¹ والرفع من مستوى المشاركين في اللقاءات العربية إلى درجة عليا (الرؤساء والملوك)، وهو الموضوع الذي نال حظوة خاصة خلال الدورة الموالية (32) التي استضافتها مدينة الدار البيضاء (شتنبر 1959). وخصت الصحافة الوطنية قرار الحكومة بتحاليل مستفيضة وتعليق أقرت بأنه يشكل حقا حدثا مهما في مسلسل تحقيق استقلالية أكبر والتأكيد على الانتماء العربي للمغرب². والظاهر أن عموم المسلمين اعتبروا القرار تطورا إيجابيا لأنه حقق مجموعة من الغايات أكدت جميعها على الشخصية العربية للأمة المغربية وأقرت بواجب التضامن مع الشعوب العربية في صراعها ضد جميع أشكال الإمبريالية بما فيها الصهيونية. ومن دون شك أن اليهود اعتبروا القرار خطوة "خطيرة" في سياسة العداء وعدم الاعتبار التي انخرطت فيها الدولة المغربية منذ سنة 1956.

مضاعفات قرار الانخراط على الجماعات اليهودية المغربية وعلاقتها بالدولة المغربية

كما كان مرتقبا، اعتبرت الجماعات اليهودية القرار الحكومي نقلة مهمة في مسار الدولة المغربية في علاقاتها مع مواطنيها اليهود. وزاد من حدة خيبتها موافقة الحكومة على الالتزام بمجموعة من القرارات العربية على رأسها الانخراط رسميا ومن دون شرط أو تحفظ في الاتحاد العربي للبريد وقطع جميع العلاقات البريدية والتلفونية والتلغرافية والتلكس بين المغرب ودولة إسرائيل³. فعلا، نشرت الوزارة الوصية في يوم 29 شتنبر بيانا علق على جدران المكاتب والوكالات البريدية نص على رفض استلام أو تسليم أية رسالة أو طرد أو برقية موجهة إلى إسرائيل أو قادمة منها⁴.

وبديهي أن القرار خطير بحق لأن له مضاعفات سلبية مباشرة على العائلات اليهودية إذ يعني "بكل بساطة" قطع أحد أهم الجسور مع أقربائها المستقرين في

Ibid, From R.S. Crawford (British Embassy in Bagdad) to Foreign Office, September 9, 1958, p. 178.

¹ - Ibid, Outward Telegram from Commonwealth Relations Office, Arab League : Iraq-Egypt Dispute, 9 April 1959, p. 272-73.

² - العلم، 13 شتنبر 1958.

³ - "القرار السادس : يلتزم كل قطر ينخرط في الاتحاد العربي للبريد بقطع علاقاته البريدية مع إسرائيل فور انخراطه. ويطلب مدير المكتب الدائم للاتحاد العربي للبريد من كل قطر التحق بالجامعة أو على وشك فعل ذلك، قطع علاقاته البريدية مع إسرائيل"،

AL-BDS, Vol. IX, 1958-1960, Union postale arabe : Lois, décisions, arrêtés..., p. 371-381.

⁴ - MAE/Maroc 1953-59, 15, Ambassade de France à Rabat au Ministère des Affaires étrangères, 30 septembre 1959.

فلسطين¹. وقد بادرت الهيئات اليهودية سواء المتعاملة مع الحكومة المغربية² أو التي باتت تتأطر في خانة الهيئات المناهضة³ إلى التنديد بالقرار لتنكره للالتزامات السابقة واحتقاره لحق الحرية في التواصل (وهو أحد أهم الحقوق الطبيعية للإنسان)⁴. ومن جهتها، عمدت الحكومة الإسرائيلية إلى لعب ورقة الضغط الدبلوماسي⁵ فجندت للغرض أدواتها في التأثير المباشر⁶. وأمام حدة الحملة المنظمة ضد الحكومة المغربية، حاول عبد الرحيم بوعبيد مرة أخرى إيجاد حل توافقي فاقترح الاستعانة

¹ - "إن الإعلان على قرار الحكومة المغربية القاضي بالانضمام إلى الاتحاد العربي للبريد خلق جوا من التوتر والقلق عند حوالي مائتي ألف يهودي يعيشون في المغرب، لأنه وبكل بساطة، لكل واحد منهم على الأقل علاقة قريى واحدة مع مهاجر في إسرائيل"،

CZA/Z6/1430, Le Congés Juif Mondial : Réaction à la décision du gouvernement marocain d'adhérer à l'Union postale arabe, 16 août 1959.

² - "من الطبيعي أن نعطي لقضية انضمام المغرب للاتحاد العربي للبريد أهمية قصوى، لأنه في حالة التوقيع رسميا على الوثيقة، سيصبح وضع اليهود في المغرب حقا خانقا وشبيها بذلك الذي يعاني منه بنو عمومته في العاصمة العراقية. وأجد نفسي طبعا في حل من أن أعرض النتائج السلبية التي ستتمخض عن تطور الأحداث في هذا الاتجاه، لذلك أدعو إلى أخذ المبادرة والعمل على تدارك الأمور قبل فوات الأوان"،

CZA/Z6/1430, De Joe Golan à N. Goldman, 18 août 1959.

³ - "يعبر المجلس العام الصهيوني عن إدانته للقرار الذي اتخذته الحكومة المغربية [...]، فهو قرار يتعارض مع القوانين الدولية الأساسية، ومن شأنه خلق متاعب لا مبرر لها لليهود الإسرائيليين القادمين من شمال إفريقيا وإخوانهم الذين ما يزالون يقيمون في المغرب"،

Session of the Zionist General Council 1960, Addresses, Debate, Resolutions, Jerusalem, Organization Department of the Zionist Executive, p. 272.

⁴ - "أكدت على أنني أهتم بالموضوع أساسا لأن جوانبه الإنسانية تغطي بشكل مثير. فالأف الإسرائيليين انقطعت صلاتهم بأقرب أقربائهم، فوجدوا أنفسهم محرومين من أبسط الروابط الإنسانية. وهذا الوضع زاد من حدة محنة هؤلاء الناس، خاصة وأن نسبة كبيرة منهم مجرد أناس عاديين لا علاقة لهم بالسياسة. ونحن نرى أنه من واجبنا مساعدة هؤلاء [...] وأضفت أن يهود الولايات المتحدة الأمريكية أبدوا اهتماما خاصا بالموضوع، فهم يريدون معرفة طبيعة مشاعر آلاف الأشخاص الذين حرّموا من معرفة أخبار أقربائهم، وهم كذلك يناشدوننا أن نقوم بالواجب. ونحن من جانبنا نعمل ما في وسعنا لتهدئة الوضع لأن ثقتنا في الحكومة المغربية كبيرة"،

CZA/Z6/1961, From M.L. Perlzweig to Nahum Goldman : Interview with Moroccan Ambassador, October 8, 1959.

⁵ - CZA/Z6/1546, From Yehuda Ebstein (Executive Director) to N. Goldman, February 21, 1961.

⁶ - "قررت الحكومة الإسرائيلية شن حملة إعلامية عامة، ووظفت قنوات عديدة لها باع في مجالات الدعاية. وقد جعلت من الجمعيات والمنظمات والهيئات اليهودية ذات المصادقية الأخلاقية طرفا فاعلا ورائدا في مشاريعها، بغرض الاستفادة من وسائل ضغطها والدفع بها إلى المساهمة في فك الحصار المضروب على يهود المغرب".

, op. cit....CZA/Z6/1961, From M.L. Perlzweig, to Nahum Goldman : Interview

بخدمات الصليب الأحمر العالمي إلا أن الحكومة الإسرائيلية رفضت الاقتراح رفضاً قاطعاً¹.

وبموازاة مع الاتصالات مع المسؤولين في المغرب، عملت فعاليات يهودية عالمية وجهات موالية لها صديقة للمغرب (من بينها رجال الكنيسة المسيحية في المغرب وبعض الزعماء الجزائريين²) ولها علاقات وطيدة مع السفارات المغربية في أكبر العواصم العالمية (باريس³ ولندن وواشنطن ومديد وروما⁴)، على الدفع بالدبلوماسيين المغاربة لمكاتبة رؤسائهم في الرباط لتنبيههم للعراقيل التي تعترض عملهم من "جاء اشتداد أزمة اليهود المغاربة"⁵. وفعلاً تعرضت البعثة المغربية في الأمم المتحدة لضغوط مورست عليها بطرق مختلفة⁶.

انتبعت الحكومة المغربية للأمر، فبعثت بتعليمات واضحة حثت على عدم الخوض في الموضوع والرد بصرامة "دبلوماسية" على جميع المساعي التي موضوعها حاضر

¹ - "فيما يخص مسألة تجاوز قرار الحكومة المغربي القاضي بقطع العلاقات البريدية مع إسرائيل عن طريق الاستعانة بخدمات الصليب الأحمر، أكد لنا الإسرائيليون أكثر من مرة بأنهم لا يقبلون بحل من هذا القبيل، لأن ذلك يعني قبولهم بصيغة للتعامل عادة ما تربط بين طرفين في حالة حرب حقيقية..."

CZA/Z6/1434, Joe Golan à N. Goldman, 5 août 1959.

² - "تعلمون أن الجزائريين كونوا مجموعة أصدقاء أمريكيين يرغبون في أن يساعدوهم في تحركاتهم في واشنطن ونيويورك. وهذه المجموعة تتحرك بمباركة السيدة إيزنهاور، التي قبلت أن تقدم الدعم الأخلاقي للجزائريين عبر التأكيد على ضرورة إيجاد حل على شاكلة ما حصل في تونس والمغرب [...] إذا أخبرنا السيدة إيزنهاور بأن الأوضاع في المغرب تطورت في اتجاه معاد لليهود، فإنه سيكون بمقدرتها حث أصدقائها الجزائريين على مناقشة الموضوع مع المغاربة..."

CZA/S6/1430, Joe Golan à N. Goldman, Genève, 21 août 1959.

³ - في باريس، قامت شخصيات في الحزب الاشتراكي بدور مهم في الاتصال بأصدقاء لهم في اليسار المغربي، نفسه.

⁴ - من أبرز الشخصيات الإيطالية التي اعتمد عليها للاتصال بسياسيين مغاربة، نذكر الزعيمين ماتسي وفنفاي، نفسه.

⁵ - CZA/S6/2211, Joe Gouldin-Golan à son Excellence M. Taibi Ben Hima (Ambassadeur du Maroc à Rome), 16 juin 1958.

⁶ - "نحن في الوقت الراهن بصدد تفعيل عناصر حملة تهدف إلى انتزاع الاعتراف الكامل بالحقوق الأساسية لليهود المغرب، وقد كرسنا جهودنا في الأمم المتحدة لتحقيق مكاسب مهمة"،

Executive of World Zionist Organization and Jewish Agency, *Report on Activities from April to December 1957, Submitted to the Session of The Zionist General Council*, Jerusalem, March 1958.

المواطنين اليهود¹. وشددت التعليمات كذلك على استغلال جميع المجامع (العمومية والخاصة) للدفاع عن المواقف الحكومية، وبسط الخصوصيات المغربية والإشادة بالتاريخ "المجيد" للوجود اليهودي بالمغرب والعلاقات "المتأززة" التي تربط بين جميع مكونات الشعب المغربي.

وللرد على الحملة الإعلامية اليهودية، تصدت الصحافة المغربية لما اعتبرته مزاعم صهيونية تسعى إلى التغرير بمواطنين مغاربة والإيقاع بهم في مخططات استعمارية. فالصحف الحزبية خاصة "العلم"² و"الاستقلال" و"الطليلة"³ - كثفت من المواد التي تفصل في مظاهر الميز في الكيان الصهيوني نفسه وتستهدف المهاجرين القادمين من إفريقيا الشمالية. واعتمدت المقالات في معلوماتها على مصادر "غربية" ذات مصداقية (لوموند الفرنسية)، وأخرى وطنية خاصة شهادات الأشخاص العائدين بعد مقام قصير في إسرائيل (استقروا بالأساس في فرنسا). وخصت مجموع الصحف المغربية أهمية كبرى للأحداث التراجيدية التي عرفها حي وادي صليب، والتي كان ضحيتها يهود مغاربة⁴.

¹ - "أبان السيد السفير (المهدي بنعبود) عن انزعاج شديد حين فاتحته في موضوع يهود المغرب، وصرح لي بأن العديد ممن التقى بهم في الأونة الأخيرة حدثوه في الموضوع، وقدموا له نفس الحجج والأسانيد. واشتكى من كون العديد من الشخصيات اليهودية التي زارته تريد الدفع به إلى الإدلاء بتصريحات مناقضة للسيرة التي رسمت خطوطها حكومته، وهذا طبعاً أمر مستحيل لأن واجبه يفرض عليه الدفاع عن خيارات حكومته بكل حزم وصرامة. وسألني عن موقعي الشخصي وعمي يا ترى أذاف، وهل أنا أتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية [...] وأكد لي على أن جميع المحاولات التي ترمي إلى تأليب الرأي العام الأمريكي ضد بلده ستؤدي حتماً إلى تعقيد المسألة، وتجعل الموقف الرسمي أكثر تشنجا. وخلص إلى أن أقصى ما يمكن أن تخلص له أية حملة إعلامية مناهضة للمغرب، هو التشويش على العلاقات بين الرباط وواشنطن"،

CZA/S6/7280, Cable from New York to the Department of Foreign Affairs (Jerusalem), 10 October 1959.

² - "يهود الشمال الإفريقي في إسرائيل"، العلم، 8 غشت 1959، ص. 3 ؛ "الميز العنصري بإسرائيل"، نفسه، ص. 1 ؛ "اضطهاد اليهود الأفارقة في إسرائيل"، نفسه، 10 غشت 1959، ص. 2 ؛ "السلالية في إسرائيل"، نفسه، 17 غشت 1959، ص. 6.

³ - La tragédie des Juifs marocains en Israël », *L'Avant-Garde*, 23 et 30 août 1959 ; « Ce fameux paradis d'Israël », *ibid*, 13 septembre 1959.

⁴ - "حوادث خطيرة في إسرائيل : اليهود المهاجرون من المغرب ثائرون على اضطهاد العصابات الصهيونية إياهم"، التحرير، العدد 123، 3 غشت 1959 ؛ "إحراق مكاتب للشغل في إسرائيل احتجاجاً على انتهاج الميز العنصري في التشغيل"، نفسه، العدد 125، 5 غشت 1959 ؛ "بعد الاضطرابات في مختلف المدن في إسرائيل : 60 من يهود شمال إفريقيا يقدمون للمحاكمة"، نفسه، العدد 126، 6 غشت 1959.

وعموما، شددت الصحافة المغربية في معالجتها للموضوع على الأمور التالية:

- حث المؤسسات اليهودية الوطنية على بذل الجهد لإقناع عموم اليهود بوجوب الوفاء للوطن وعدم الانسياق وراء الدعاية المغرضة¹.
- دعوة الحكومة إلى اتخاذ كافة التدابير للحد من الهجرة ومنع جميع مظاهر الاتصال بين المغرب وإسرائيل².
- مناشدة السلطات السماح لليهود الراغبين في العودة للمغرب من الاستقرار ثانية، وتمتعهم بالحماية والامتيازات³.

وقد شكل التحاق المغرب بالجامعة العربية وما تمخض عنه من وجوب الامتثال لمقررات تضامنية مع الاشقاء العرب حلقة إضافية في مسلسل فقدان ثقة الجماعات اليهودية في الدولة المغربية وقدراتها على صيانة المصالح والحقوق الفردية والجماعية. وتطورت الأمور في اتجاه معاكس لما كان يطمح إليه ساسة المغرب المستقبل الذين راودت أغلبهم الرغبة في تحقيق حلم اعتبروه ممكنا، حلم يكون المغرب فيه البلد العربي "الوحيد" الذي تتعايش فوق أرضه "طائفتان" ويشكل تكاملهما محركا

1- "أشرنا مرارا إلى نشاط العصابة الصهيونية المنبئة بين صفوف مواطنينا اليهود المغاربة [...] ونحن حين نندد بالعصابات الصهيونية إنما ننبه الشعب المغربي الذي يكون اليهود المغاربة عنصرا من عناصره، على ضرورة الاحتياط من الوقوع في شبكة العصابات. إن مواطنينا اليهود المغاربة يعرفون تضليلات العصابات اليهودية ويعرفون أساليبها، لذلك نذكرهم دائما بالخطر الذي قد يصيب وطنهم المغرب من جراء هذه العصابات [...] لقد قلنا مرارا إننا لسنا ضد اليهود المغاربة لأنهم مواطنون، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ومن الحق أن نكون ضد فئة من المواطنين، وعلى مواطنينا اليهود أن يفهموا هذا، وأن يفهموا زيادة عن ذلك أننا حين نندد بالعصابات الصهيونية إنما نخدم بذلك قضية حيوية بالنسبة لبلادهم ووطنهم المغرب..."، نفسه، العدد 148، 28 غشت 1959.

2- نشرت "التحرير" في عددها الصادر بتاريخ 22 يوليوز 1959 (العدد 111) خبر ضبط الشرطة المغربية لأشرطة مصورة مستوردة من إسرائيل. وفي تعليقها عن الخبر في اليوم التالي، أشارت إلى أن هذا العمل هو "نوع من أنواع النشاط الذي تقوم به العصابات الصهيونية المنبوتة في مواطنينا اليهود". وبعد طرح بعض الحثثيات، تساءل الكاتب عن الطريقة التي وصلت بها الأشرطة إلى المغرب. ففي نظره "جاءت من إسرائيل بإحدى طريقتين لا ثالث لهما". فهي إما أن تكون قد وصلت مباشرة من إسرائيل عبر البريد "وفي هذه الحالة نهمس من جديد في أذن وزير البريد قائلين: إلى متى يظل البريد المغربي مفتوحا بكل حرية للعصابات الصهيونية تهرب الأموال وتستورد الأفلام والنشرات والجرائد المعادية للمغرب والمغاربة وللغرب والعروبة". وإما أن يكون يهودي مغربي استقدمها من إسرائيل "وهنا نهمس في أذن إدارة الأمن قائلين: إلى متى سيظل الصهيونيون ينتقلون بحرية بين المغرب وإسرائيل؟".

3- ألبير أفلاو، "حول ثورة اليهود المهاجرين من المغرب إلى إسرائيل: ثمانون في المائة من اليهود المغاربة يرغبون في العودة من إسرائيل إلى المغرب"، نفسه، العدد 134، 14 غشت 1959.

للتقدم، وانسجامهما سندا لتلميع صورة المملكة التي حفظت لقرون للأقلية اليهودية حقوقها وحرّياتها ومقدساتها. وعلى اختلاف مشاربهم الفلسفية وانتماءاتهم السياسية، أدرك الساسة الجدد أن الدولة المغربية في حاجة ليهودها، وأن مسيرتها نحو الرقي مرهونة بضمان الانسجام بين جميع مكوناتها البشرية. وما من شك أنهم أرادوا أن يمكث اليهود في بلادهم ويساهموا في معركة البناء. وكان على هذه الرغبة أن تصمد أمام التحديات الكبرى التي واجهتها الدولة المغربية في بداية عهدها بالاستقلال. فقد ترتب عن الانتقال من وضع المستعمر المسير إلى وضع المالك للسيادة وصانع السياسة الاقتصادية خلل بنيوي تضررت منه مجموعة من القوى كانت مصالحها مصونة في العهد السابق (أو على الأقل اعتقدت أنها مصونة). وعلى الواجهة السياسية، دفع احتدام الصراع السياسي بين حزب الاستقلال والقصر بغالبية يهود الملاحات - وهم فئة تعتبر السلطان ضامنا لأمنها ومصالحها- إلى فقدان الثقة في المؤسسة الملكية (خاصة بعد سقوط النظام الملكي في العراق)، وفي قدراتها على حماية اليهود وخلق ورعاية مناخ عام للتسامح والانسجام.

وحاصل القول إن الحماس الوطني لوحده لم يكن كافيا لتجاوز المعوقات الموروثة عن زمن الحماية. فقد خلقت التطورات الكبرى التي عرفها المغرب منذ بداية التسرب الأوروبي "فراغا" وغيابا للجسور بين اليهود والمسلمين بات من الصعب ملؤهما حتى ولو اجتمعت النيات الحسنة على مستويات الأشخاص والجماعات. وفي المقابل، سهل الوضع "مأمورية" القوى التي سعت إلى زعزعة ونسف ركائز "تناسق تاريخي" ضمن لقرون تعايش المكونات المختلفة للشعب المغربي. والحقيقة أن الارتباك العام سرع من وثيرة الإيقاع بفئات عريضة من المغاربة اليهود في أحضان الصهيونية ومنظمتها المهيكلية والمدعمة بالمال والسند الإعلامي.

